**المادة :** سيرة **عنوان المحاضرة :** عرض الاسلام على القبائل والبيعتين

**المرحلة :** الثانية صباحي. **استاذ المادة :** أ.م.د فراس مجيد عبدالله

**عرض الاسلام على القبائل .**

بعد رجوعه - صلى الله عليه وسلم - من الطائف، بدأ يعرض نفسه على القبائل في المواسم يشرح لهم الإسلام، ويطلب منهم الإيواء والنصرة، حتى يبلغ كلام الله عزوجل وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتحرك في المواسم التجارية ومواسم الحج التي تجتمع فيها القبائل وفق خطة سياسية دعوية واضحة المعالم ومحددة الأهداف، وكان يصاحبه أبو بكر الصديق الرجل الذي تخصص في معرفة أنساب العرب وتاريخها، وكانا يقصدان (غرر الناس ووجوه القبائل، وكان أبو بكر رضي الله عنه، يسأل وجوه القبائل ويقول لهم كيف العدد فيكم؟ وكيف المنعة فيكم؟ وكيف الحرب فيكم؟ وذلك قبل أن يتحدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعرض دعوته.  
يقول المقريزي:( ثم عرض - صلى الله عليه وسلم - نفسه على القبائل أيام الموسم، ودعاهم إلى الإسلام، وهم بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة وقيس بن الخطيم، وأبو اليسر أنس بن أبي رافع) وقد أقتص الواقدي أخبار هذه القبائل قبيلة، قبيلة ويقال أنه - صلى الله عليه وسلم - بدأ بكندة فدعاهم إلى الإسلام ثم أتى كلباً ثم بني حنيفة ثم بني عامر، وجعل يقول: من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي؟ هذا وأبو لهب وراءه يقول للناس: لا تسمعوا منه فإنه كذاب.

وقد تعرض - صلى الله عليه وسلم - للأذى العظيم، فقد روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعرض نفسه بالموقف فقال:(ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) وظل النبي - صلى الله عليه وسلم - في تردده على القبائل يدعوهم، فيردون عليه أقبح الرد ويؤذونه ويقولون: قومه أعلم به، وكيف يصلحنا من أفسد قومه فلفظوه، وكانت الشائعات التي تنشرها قريش في أوساط الحجاج تجد رواجاً وقبولاً مثل الصابئ وغلام بني هاشم الذي يزعم أنه رسول، وغير ذلك، ولاشك أن هذا كان مما يحز في نفس الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويضاعف ألم التكذيب وعدم الاستجابة.  
ولم يقتصر الأذى على ذلك بل واجه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ماهو أشد وأقسى، فقد روى البخاري في تاريخه والطبراني في الكبير عن مدرك بن منيب أيضاً عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبّه، حتى انتصف النهار، فأقبلت جارية بعسّ من ماء فغسل وجهه ويديه، وقال: يابنية لاتخشي على أبيك غلبة ولاذلة، فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهي جارية وضيئة.  
كان - صلى الله عليه وسلم - من حكمته العالية يخرج لمقابلة القبائل في ظلام الليل، حتى لايحول بينه وبينهم أحد من المشركين،وقد نجح هذا العمل في إبطال مفعول الدعاية المضادة، التي كانت تتبعها قريش، كلما اتصل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقبيلة من القبائل، والدليل على نجاح هذا الأسلوب المضاد، اتصال الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأوس والخزرج ليلاً، ومن ثم كانت العقبة الأولى والثانية ليلاً.  
 ذهب الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى القبائل في منازلهم، فقد أتى كلباً وبني حنيفة، وبني عامر في منازلهم ... وبذلك يحاول أن يبتعد عن مطاردة قريش، فيستطيع أن يتفاوض مع القبائل بالطريقة المناسبة دونما تشويش أو تشويه من قريش، واختار الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يجري مفاوضات مع بني عامر قامت تلك المفاوضات على دراسة وتخطيط، فالرسول وصاحبه أبو بكر كانا يعلمان أن بني عامر قبيلة مقاتلة كبيرة العدد وعزيزة الجناب، بل هي من القبائل الخمس التي لم يمسها سباء ولم تتبع لملك ولم تؤد أتاوة، مثلها مثل قريش وخزاعة كما أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعلم أن هنالك تضاداً قديماً بين بني عامر وثقيف، فإذا كانت ثقيف امتنعت عليه من الداخل فلماذا لايحاول أيضاً تطويقها من الخارج، والاستفادة في ذلك من بني عامر بن صعصعة، فإذا استطاع النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبرم حلفاً مع بني عامر فإن موقف ثقيف سيكون على حافة الخطر. يذكر أصحاب السيرة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما أتى بني عامر بن صعصعة، فدعا إلى الله وعرض عليهم نفسه، قال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس:(والله لو أني أخذت هذا الفتى لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال الأمر لله يضعه حيث يشاء، فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لاحاجة لنا بأمرك.

**مواكب الخير وطلائع النور:**  
قال جابر بن عبدالله الأنصاري: (مكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعُكاظ ومجنّة وفي المواسم بمنى يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلّغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو مضر، فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لايفتننك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام.

**الإتصالات الأولى بالأنصار في مواسم الحج والعمرة:**

1- إسلام سويد بن الصامت.  
2- إسلام إياس بن معاذ.  
كانت البداية المثمرة مع وفد من الخزرج في موسم الحج عند عقبة منى، قال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من أنتم؟  
قالوا: نفر من الخزرج  
قال: أمن موالي يهود؟  
قالوا: نعم  
قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟  
قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزوجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.

فلما كلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: ياقوم: تعلموا والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الإسلام، وقالوا إنا قد تركنا قومنا، ولاقوم بينهم من العداوة والشر مابينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا، وكانوا ستة نفر: وهم

* أبو أمامة أسعد بن زرارة.
* وعوف بن الحارث من بني النجار.
* ورافع بن مالك.
* وقطبة بن عامر.
* وعقبة بن عامر.
* وجابر بن عبدالله بن رباب.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا بينهم، فلم تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

فهذا أول موكب من مواكب الخير، لم يكتف بالإيمان وإنما أخذ العهد على نفسه أن يدعو إليه قومه، وقد وفي كل منهم لدينه ورسوله، فإنهم حين رجعوا نشطوا في الدعوة إلى الله وعرضوا كلمة الهدى على أهلهم وذويهم فلم تبقى دار من دور المدينة إلا وفيها ذكر لمحمد - صلى الله عليه وسلم -، وهكذا عندما يأذن الله تأتي ساعة الحسم الفاصلة فقد كان لقاء هؤلاء مع الرسول على غير موعد، لكنه لقاء هيأه الله ليكون نبع الخير المتجدد الموصول، ونقطة التحول الحاسم في التاريخ ... وساعة الخلاص المحقق من عبادة الأحجار، بل إنها على التحقيق ساعة الحسم في مصير العالم كله ونقل الحياة من الظلمات إلى النور. أكان معقولاً في لحظة يسيرة أن يتحول هؤلاء من وثنيين متعصبين إلى أنصار للدعوة متفتحين، وجنود للحق مخلصين ودعاة إلى الله متجردين يذهبون إلى أقوامهم، وبين جوانحهم نور، وعلى وجوههم نور، وإنهم لعلى نور؟ تلك مشيئة القدر العالي هيأت للدعوة مجالها الخصب، وحماها الأمين ... والسنوات العجاف التي قضاها الرسول نضالاً مستمراً، وكفاحاً دائماً، وتطوافاً على القبائل، والتماساً للحليف ... قد ولت إلى غير رجعة ... سيكون بعد اليوم للإسلام قوته الرادعة، وجيشه الباسل وسيلتقي الحق بالباطل ليصفي معه حساب الأيام الخوالي، والعاقبة للمتقين، وستتوالى على مكة منذ اليوم مواكب الخير وطلائع النور التي هيأها الله للخير لتتصل بالهداية وتسبح في النور، وتغترف من الخير، وترجع إلى يثرب بما وعت من خير، وبما حملت من نور.

ومن الجدير بالتنبيه أن هذه المقابلة التي حدثت عند العقبة وتلاقى فيها فريق من الخزرج بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وأسلموا على يديه لم تكن فيها بيعة(1)، لأنها كانت من نفر صغير لم يروا لأنفسهم الحق في أن يلتزموا بمعاهدة دون الرجوع إلى قبائلهم في المدينة ولكنهم أخلصوا في تبليغ رسالة الإسلام.

**بيعة العقبة الأولى :**  
بعد عام من المقابلة الأولى التي تمت بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأهل يثرب عند العقبة وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه - صلى الله عليه وسلم - بالعقبة وبايعوه العقبة الأولى، عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، مما يشير إلى أن نشاط وفد الخزرج الذين أسلموا في العام الماضي تركز على وسطهم القبلي بالدرجة الأولى لكنهم تمكنوا بنفس الوقت من اجتذاب رجال الأوس وكان ذلك بداية ائتلاف القبيلتين تحت راية الإسلام.  
وقد تحدث عبادة بن الصامت الخزرجي عن البيعة في العقبة الأولى، فقال:(كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثنى عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء - وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب: على أن لانشرك بالله، ولانسرق، ولانزني، ولانقتل أولادنا ولانأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عزوجل إن شاء غفر وإن شاء عذب).  
وبنود هذه البيعة هي التي بايع الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليها النساء فيما بعد ولذلك عرفت باسم بيعة النساء، وقد بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع المبايعين مصعب بن عمير يعلمهم الدين ويقرؤهم القرآن، فكان يسمى بالمدينة (المقرئ) وكان يؤمهم في الصلاة وقد اختاره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - - عن علم بشخصيته من جهة، وعلم بالوضع القائم في المدينة من جهة أخرى، حيث كان - رضي الله عنه - بجانب حفظه لما نزل من القرآن، يملك من اللباقة والهدوء، وحسن الخلق والحكمة، قدراً كبيراً، فضلاً عن قوة إيمانه وشدة حماسه للدين، ولذلك تمكن خلال أشهر أن ينشر الإسلام في سائر بيوتات المدينة وأن يكسب للإسلام أنصاراً من كبار زعمائها، كسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، وقد أسلم بإسلامهما خلق كثير من قومهم.  
لقد نجحت سفارة مصعب بن عمير رضي الله عنه في شرح تعاليم الدين الجديد، وتعليم القرآن الكريم وتفسيره وتقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبائل المؤمنة من ناحية، وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه بمكة المكرمة، لإيجاد القاعدة الأمينة لانطلاق الدعوة.

وقد نزل مصعب بن عمير - رضي الله عنه - في يثرب على أسعد بن زرارة - رضي الله عنه -، ونشط المسلمون في الدعوة إلى الله يقود تلك الحركة الدعوية الرائدة مصعب رضي الله عنه وقد انتهج منهج القرآن الكريم في دعوته وهذا الذي تعلمه من أستاذه - صلى الله عليه وسلم - وقد شرح لنا بعض الآيات القرآنية المكية بصورة عملية حية قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (سورة النحل، الآية:125).  
رابعاً: قصة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما:  
كان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيِّديْ قومهما من بني عبد الأشهل، وكانا مشركين على دين قومهما، فلما سمعا بمصعب بن عمير ونشاطه في الدعوة إلى الإسلام قال سعد لأسيد: لاأبالك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال: هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: أن يجلس أكلمه، فوقف عليهما متشتماً فقال: ماجاء بكما تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب بلسان المؤمن الهادئ الواثق من سماحة دعوته: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ماتكره؟

قال أسيد: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهَّر وتطهِّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق؟ ثم تصلِّي، فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكم الآن: سعد بن معاذ.  
ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم !!  
فما وقف على النادي قال له سعد: مافعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله مارأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك.  
فقام سعد مغضباً مبادراً مخوفاً للذي ذكر له من أمر بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ماأراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما سعد فوجدهما مطمئنين، فعرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا مابيني وبينك من القرابة مارُمْتَ هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره وكان أسعد قد قال لمصعب: لقد جاء والله - سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف منهم اثنان، فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ماتكره، فقال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام، وقرأ القرآن، وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول سورة الزخرف، قالا: فعرفنا - والله - في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله.  
ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم، ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل، فتطهَّر وتطهِّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، ثم تشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يابني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.  
ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات، إلا ماكان من الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم، واستشهد بأحد، ولم يصلِّ لله بسجدة قط، وأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه من أهل الجنة.  
وقد روى ابن اسحاق بإسناد حسن عن أبي هريرة أنه كان يقول: (حدِّثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلِّ صلاة قط، فإذا لم يعرفه الناس قال هو أصيرم بني عبد الأشهل).

**بيعة العقبة الثانية:**  
قال جابر بن عبدالله: (... فقلنا: حتى متى نترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطرد في جبال مكة ويُخاف، فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا: يارسول الله نبايعك:

قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لاتخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة.  
قال: فقمنا إليه فبايعناه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وأما أنتم تخافون من أنفسكم جبينة، فبينوا ذلك فهو عذر لكم عند الله قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لاندع هذه البيعة أبداً ولانسلبها قال:(فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة).

وهكذا بايع الأنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الطاعة والنصرة والحرب، لذلك سماها عبادة بن الصامت بيعة الحرب، أما رواية الصحابي كعب بن مالك الأنصاري - وهو أحد المبايعين في العقبة الثانية، ففيها تفاصيل مهمة. قال:( خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا ... ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العقبة من أوسط أيام التشريق... وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا، نسيبة بنت كعب ..، وأسماء بنت عمرو، فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبدالمطلب:(فبين أن الرسول في منعة من قومه بني هاشم ولكنه يريد الهجرة إلى المدينة، ولذلك فإن العباس يريد التأكد من حماية الأنصار له وإلا فليدعوه فطلب الأنصار أن يتكلم رسول الله، فيأخذ لنفسه ولربه مايحب من الشروط.

قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنّك مما نمنع منه أُزرنا فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر، فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان متسائلاً:( يارسول الله إن بيننا وبين القوم حبالاً وإنا قاطعوها (يعني اليهود)، فهل عسيتم إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: بل الدم بالدم، والهدم بالهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم)  
ثم قال: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.  
وقد طلب الرسول - صلى الله عليه وسلم - منهم الإنصراف إلى رحالهم، وقد سمعوا الشيطان يصرخ منذراً قريشاً، فقال العباس بن عبادة بن نضلة والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسيافنا.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم)، فرجعوا إلى رحالهم، وفي الصباح جاءهم جمع من كبار قريش، يسألونهم عما بلغهم من بيعتهم للنبي ودعوتهم له للهجرة، فحلف المشركون من الخزرج والأوس بأنهم لم يفعلوا والمسلمون ينظرون إلى بعضهم،قال: ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان جديدان قال: فقلت له كلمة - كأني أريد أن أشرك القوم فيما قالوا: يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعهما الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بها إليَّ وقال: والله لتنعلهما، قال: يقول أبو جابر: مه أحفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه. قال: قلت: لاوالله لا أردهما فأل والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلبنه.  
دروس وعبر:

1. كانت هذه البيعة العظمى بملابساتها، وبواعثها، وآثارها، وواقعها التاريخي (فتح الفتوح)، لأنها كانت الحلقة الأولى في سلسلة الفتوحات الإسلامية التي تتابعت حلقاتها في صور متدرجة، مشدودة بهذه البيعة.

2- إن حقيقة الإيمان وأثره في تربية النفوس تظهر آثارها في استعداد هذه القيادات الكبرى، لأن تبذل أرواحها ودمائها في سبيل الله ورسوله، ولايكون لها الجزاء في هذه الأرض كسباً ولامنصباً ولاقيادة ولازعامة، وهم الذين أفنوا عشرات السنين من أعمارهم يتصارعون على الزعامة والقيادة، إنه أثر الإيمان بالله وبحقيقة هذا الدين عندما يتغلغل في النفوس.  
3- يظهر التخطيط العظيم في بيعة العقبة حيث تمت في ظروف غاية في الصعوبة، وكانت تمثل تحدياً خطيراً وجريئاً لقوى الشرك في ذلك الوقت، ولذلك كان التخطيط النبوي لنجاحها في غاية الإحكام والدقة، على النحو التالي.

4- اختيار الليلة الأخيرة من ليالي الحج، وهي ليلة الثالثة عشر من ذي الحجة، حيث سينفر الحجاج إلى بلادهم ظهر اليوم التالي وهو يوم الثالث عشر، ومن ثم تضيق الفرصة أمام قريش في اعتراضهم أو تعويقهم إذا انكشف أمر البيعة، وهو أمر متوقع وهذا ماحدث.  
5- سرعان ما استجاب قائد الأنصار دون تردد، البراء بن معرور قائلاً: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر فهذا زعيم الوفد يعرض إمكانيات قومه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقومه أبناء الحرب والسلاح ومما يجدر الإشارة إليه في أمر البراء أنه عندما جاء مع قومه من يثرب قال لهم: إني قد رأيت رأياً فوالله ماأرى أتوافقوني عليه أم لا؟

فقالوا: وماذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنَّية - يعني الكعبة - مني بظهر، وأن أصلي إليها، فقالوا له: والله مابلغنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يصليِّ إلا إلى الشام - ببيت المقدس - ومانريد أن نخالفه، فكانوا إذا حضرت الصلاة صلوا إلى بيت المقدس، وصلَّى هو إلى الكعبة، واستمروا كذلك حتى قدموا مكة، وتعرفوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو جالس مع عمه العباس بالمسجد الحرام، فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - العباس: (هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل )؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - :(الشاعر؟) قال: نعم، فقصَّ عليه البراء ماصنع في سفره من صلاته إلى الكعبة. قال: فماذا ترى يارسول الله؟ قال:(قد كنت على قبلة لو صبرت عليها) قال كعب: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وصلَّى معنا إلى الشام فلما حضرته الوفاة أمر أهله أن يوجهوه قبل الكعبة، ومات في صفر قبل قدومه - صلى الله عليه وسلم - بشهر، وأوصى بثلث ماله إلى النبي، فقبله وردّه على ولده، وهو أول من أوصى بثلث ماله.